

اسم المقال: القيم المؤسساتية وأداء النظام السياسي العراقي

اسم الكاتب: م.م. أحمد فيصل علي

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/7631>

تاريخ الاسترداد: 2025/04/19 16:53 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.

لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام

<https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة قضايا سياسية الصادرة عن كلية العلوم السياسية في جامعة النهرين ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.



القيم المؤسساتية وأداء النظام السياسي العراقي^٧

Institutional values and performance of the Iraqi political system

Ahmed Faisal ali

* م.م. أحمد فيصل علي*

الملخص:

ان قيام النظام السياسي على منظومة مؤسساتية واضحة ومحددة يعد من بين أبرز مقومات النظام السياسي الديمقراطي، ذلك ان إضفاء الطابع المؤسسي على النظام السياسي يجعل من أداءه أكثر قدرة على تلبية احتياجات ومتطلبات الأفراد في المجتمع، وذلك بفعل القيم التي تتولد عن إضفاء الطابع المؤسسي على النظام السياسي، والتي تتعكس على فكر وممارسة النخب السياسية الحاكمة وأفراد المجتمع على حد سواء.

وعلى الرغم من مضي ما يزيد عن عقدين من الزمن على التحول الديمقراطي في العراق، الا ان النظام السياسي العراقي ما يزال يعاني من ضعف وهشاشة مؤسساته الديمقراطية، وهذا الضعف والهشاشة تم تكريسها في أداء النظام السياسي ومنظومة القيم الصادرة عنه باتجاه المجتمع. وهذا بدوره عزز من القيم التقليدية وأضعف من سلطة القانون وتسبب بتلكؤ السياسية العامة، واحلال منظومة الوساطة والمحسوبية والفساد السياسي والمالي والإداري محل منظومة الكفاءة والخبرة والجدارة في إدارة شؤون الدولة العراقية ومنح المناصب العامة.

الكلمات المفتاحية: القيم المؤسساتية، الأداء السياسي، المؤسسة، النظام السياسي العراقي.

Abstract

The establishment of the political system on a clear and specific institutional system is among the most prominent components of the democratic political system, as institutionalizing the political system makes its performance more capable of meeting the needs and requirements of individuals in society, due to the values that are generated from institutionalizing the system. Political, which is reflected in the thought and practice of the ruling political elites and members of society alike.

تاریخ النشر: 2024/9/30

تاریخ القبول: 2024/7/9

٧ تاريخ التقديم : 2024/7/13

* جامعة الموصل / كلية العلوم السياسية Ahmed.faisal@uomosul.edu.iq

"This is an open access article under the CCBY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : <https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

Although more than two decades have passed since the democratic transition in Iraq, the Iraqi political system still suffers from the weakness and fragility of its democratic institutions, and this weakness and fragility has been consolidated in the performance of the political system and the system of values issued by it toward society. This, in turn, strengthened traditional values, weakened the rule of law, caused public policy lag, and replaced the system of mediation, nepotism, and political, financial, and administrative corruption with the system of competence, experience, and merit in managing the affairs of the Iraqi state and granting public positions.

Key words

Institutional values, political performance, institutionalization, Iraqi political system.

المقدمة

ان درجة الطابع المؤسسي في النظام السياسي أصبحت في مقدمة المعايير الرئيسية التي توضح مقدار فاعلية أداء النظام والاستقرار السياسي في الدول. فال المؤسساتية تولد قيمًا سلوكية وثوابت فكرية وعملية يتمسك بها الحاكم والمحكوم على حد سواء، نظراً لتأثيرها الفاعل في تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي والإداري، وغياب شخصنة السلطة في عملية صنع القرار، وإدارة شؤون الدولة والحكم على أساس موضوعية بعيداً عن المصالح والرغبات الشخصية. وهذا بدوره ينشئ قناعة راسخة لدى الجميع بأن الالتزام بالقانون يمثل قيمةً أخلاقية نابعة من ذوات الأفراد وقناعاتهم الشخصية.

إن القيم التي تولدها المؤسساتية في النظام السياسي من ناحية وفي المجتمع من ناحية أخرى تعد المسار الأكثر ثباتاً واعلى قيمة للمضي قدماً نحو تحقيق التنمية بمختلف مستوياتها، فالمشاركة السياسية وصيانة الحريات وحكم القانون والمساواة والمجتمع المدني والامن المجتمعي والمواطنة وغيرها تعد مؤشرات واضحة لشرعية النظام السياسي، لأنها ستمكن بدورها الحافز والداعف الأمثل للقيام بأداء وظائف النظام السياسي بفعالية وقوية ركائز العقد الاجتماعي.

وعند الحديث عن النظام السياسي العراقي نجد ان ضعف المؤسساتية وقيمها في فكر وممارسة النخب السياسية المتعاقبة، منذ تأسيس الدولة العراقية وحتى يومنا هذا، جعل من أداء النظام السياسي العراقي يعاني شخصنة السلطة وتحورها حول النخب السياسية الحاكمة، وأصبحت مؤسسات الدولة مجرد أدوات

لتبرير ممارسات السلطة القائمة، وهذا بدوره أوجد قيماً مغایرة في الدولة والمجتمع تمثل عقبات وكوابح لأى مبادرة تنموية جزئية او شاملة.

أهمية البحث:

1. **الجانب العلمي:** ان موضوع القيم المؤسساتية في النظام السياسي يعد مجالاً دراسياً يمكن من خلاله الوقوف على الإشكاليات التي تعترض تحقيق التنمية وبناء الهوية الوطنية والامن المجتمعي وإرساء السلام المستدام، لذا يعد البحث في أهمية دور هذه القيم واحداً من الضرورات الأساسية التي يعني بها الباحث في النظم السياسية بصورة عامة، والنظام السياسي العراقي بصورة خاصة.

2. **الجانب العملي:** وتمثل في لفت الأنظار الى ضرورة إعادة بنية النظام السياسي العراقي على أسس مؤسساتية، تمكنه من تجاوز عقبات التنمية وتحقيق الاستقرار المجتمعي وبناء الهوية الوطنية العراقية الجامعة، عبر ما يمكن ان تتحققه البنية المؤسساتية من تمكّن هيكلي ووظيفي عبر قيمها الأساسية مثل المساواة والعدالة والثقة وسيادة القانون والمشاركة والتعددية وغيرها.

هدف البحث: يهدف البحث الى بيان مدى فاعلية القيم المؤسساتية في النظام السياسي. وان ضعف أداء النظام السياسي العراقي مرده الى محدودية العمل المؤسساتي والقيم المؤسساتية في فكر وممارسات النخب السياسية الحاكمة.

مشكلة البحث: إن الإشكالية الرئيسة تتمثل في أن ضعف العمل المؤسساتي في الدولة سينعكس بصورة مباشرة على أداء النظام السياسي وقدرته على اتخاذ القرارات اللازمة لإدارة شؤون الدولة والمجتمع بصورة فاعلة، وتصبح عندئذٍ السلطة مشخصنة بدرجة كبيرة نتيجة تحويل مقدرات الدولة لصالح النخب السياسية الحاكمة. وهذا بدوره يفسر بدرجة كبيرة التلاؤ والاخفاق في أداء النظام السياسي العراقي، وعجز مؤسساته عن استيعاب التغيرات الحاصلة والوعي المتاممي في المجتمع العراقي.

فرضية البحث: إن الفرضية تقوم على أساس وجود علاقة طردية بين القيم المؤسساتية وأداء والنظام السياسي، فكلما كان النظام السياسي قائماً على وجود مؤسسات فاعلة وقادرة على احتواء التغيرات والوعي المتاممي في المجتمع وعبرة عنه في الوقت ذاته، كلما كان أداء النظام السياسي أكثر فعالية واستقراراً، ويحظى بالشرعية السياسية التي تمثل القيمة الأساسية للتنمية الشاملة، والعكس صحيح، لذا فإن إضفاء

الطابع المؤسساتي على النظام السياسي العراقي يمثل المخرج الأمثل لتجاوز ازمات التنمية وتحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإداري.

الإطار المنهجي للبحث: ومن أجل التحقق من الفرضية اعتمد منهج البحث على المنهج التحليل النظري للكشف عن دور العمل المؤسساتي وتأثيره في البيئة التي يتواجد فيها، فضلاً عن استخدام المنهج الوصفي (التحليلي) للوقوف على أداء النظام السياسي العراقي في ظل ضعف او غياب القيم المؤسساتية.

تقسيم الدراسة: وبناءً على منهج البحث تم تقسيمه الى محاورين رئيسين: يبحث الأول في العلاقة بين القيم المؤسساتية وأداء النظام السياسي، في حين يدرس الثاني أداء النظام السياسي العراقي في ظل غياب القيم المؤسساتية.

اولاً: العلاقة بين القيم المؤسساتية وأداء النظام السياسي

إن تناهي الوعي الإنساني بفعل التطورات التكنولوجية والأحداث السياسية المتتسارعة التي طرأت على المجتمعات دفعت باتجاه تطور البنى الاجتماعية وتعددية علاقاتها الارتباطية، وإن هذا التعدد في العلاقات تبعه بشكل موازٍ تعددية مصادر وهيئات صنع السياسة العامة التي اخذت اشكالاً وانماطاً مختلفة تتغير فيها أدوار النظام السياسي.

اذ إن الاستجابة لهذا الوعي والتطور يثير ضرورة قيام مؤسساتٍ فاعلةٍ ومستقلةٍ في بنية النظام السياسي، تعمل على تحقيق اجماع سياسي توافقى، تمارس من خلاله كل مجموعة سلطتها عبر مؤسسات سياسية تُلطف تلك السلطة وتعديلها وتعيّد توجيهها، على نحوٍ يجعل من خلاله سيطرة القوة الاجتماعية متلائمة مع هذا الاجماع السياسي التوافقي فيما بين القوى الاجتماعية المتعددة الأخرى⁽¹⁾. وهذا بدوره يثير تساؤلات عن ماهية المؤسساتية وكيفية استجابتها للتغيرات التي تطرأ على المجتمع؟ وما هو الأداء السياسي للنظام السياسي؟ وكيف يتأثر بالقيم التي تولدها المؤسساتية جراء إضفاء الطابع المؤسسي على عمل النظام السياسي؟

1. ماهية المؤسساتية: تشير المؤسساتية او إضفاء الطابع المؤسسي بمفهومه التقليدي الى العملية او الإجراءات التي تصبح فيها ممارسات النظام مشبعة بقيم تتجاوز المتطلبات الفنية للمهام التي يسعى الى

(1) صمويل هنتجتون، النظام السياسي في مجتمعات متغيرة، ترجمة: حسام نايل، (بيروت: دار التنوير، 2017)، ص34.

تحقيقها⁽¹⁾. اي إنها العملية التي تكتسب بها التنظيمات والإجراءات قيمةً واستقراراً، ويحدد مستوى المؤسساتية في أي نظام سياسي بتماسك تنظيماته وإجراءاته واستقلالها وتعقيدها وقررتها على التكيف⁽²⁾.

اما في ظل المؤسساتية الجديدة أصبحت هناك معايير أخرى، الى جانب المعايير التي توفرها المؤسساتية بمفهومها التقليدي، تتمثل بالحدود وتمايز النظام عن البيئة التي يتواجد فيها، وإمكانية التعرف على أعضائه، وجود قواعد عالمية لصنع القرار، اي استخدام المعايير العالمية بدلاً من معايير خاصة، يتم من خلالها اتباع السوابق والقواعد واستبدال أنظمة الجدار، فضلاً عن الاستمرارية التي تشير الى قدرة النظام على تحمل الضغوط البيئية واتخاذ القرارات بشكلٍ مستقل⁽³⁾. فالمعايير التي توفرها المؤسساتية الجديدة أصبحت تأخذ بنظر الاعتبار البيئة الخارجية للنظام، وتزويدها بنماذج وهياكل وسياسات جديدة، والاهتمام بالمؤسسات بوصفها متغيراتٍ مستقلة عن النظام، والتحول نحو التفسيرات المعرفية والثقافية، والاهتمام بخصائص وحدات التحليل فوق الفردية التي لا يمكن اختزالها في تجمعات أو عواقب مباشرة لسمات الأفراد أو دوافعهم، وجميع هذه المعايير من شأنها ان تزيد من مقدار شرعية النظام السياسي⁽⁴⁾.

فالنظام السياسي الذي يحقق شرعيته عبر المسار المؤسساتي يجعل من الدولة أكثر قوة وقدرة على تخطيط وتنفيذ سياساتها وفرض قوانينها بإنصاف وشفافية، نظراً لوجود تراتبية وظيفية وتمايز واستقلال محددين، ومساراتٍ واضحة لتحديد وظائف الدولة التي تتراوح بين (الدنيا والمتوسطة والناشطة)⁽⁵⁾. وهذا بدوره يتيح للأفراد إمكانية سمع أصواتهم والمشاركة في صنع القرار والوصول الى الخدمات العامة، إذ تؤثر المؤسسات مثل الأنظمة الانتخابية والأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية وتشريعات حقوق الإنسان على ما يمكن فعله وما لا يمكن فعله سياسياً (التكاليف، والمخاطر، والفوائد المحتملة التي تتطوّر عليها)، إذ أنَّ الطريقة التي يتم من خلالها تنظيم الحكومة توفر فرصاً للأفراد للتواصل مع ممثليهم وصناع القرار،

(1) Walter W. Powell and Patricia Bromley, "New Institutionalism in the Analysis of Complex Organizations", Vol 16, (Oxford: International Encyclopedia of the Social and Behavioral Sciences, 2015), p.764.

(2) صمويل هنتجتون، المصدر السابق، ص 38

(3) Andrey A. Meleshevich, **Party Systems in Post-Soviet Countries: A Comparative Study of Political Institutionalization in the Baltic States, Russia, and Ukraine**, (New York: Palgrave Macmillan, 2007), p.15.

(4) Walter W. Powell and Patricia Bromley, op. cit. p 764.

(5) فرانسيس فوكو، بناء الدولة: النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، ترجمة: مجتبى الإمام، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2007)، ص 50

عبر الآليات المؤسسية مثل الاستشارات وأنظمة الشكوى أو جلسات الأسئلة والاجوبة، فضلاً عن الطرق التقليدية مثل التصويت⁽¹⁾.

إذن توفر المؤسساتية للنظام السياسي القدرة على الاستجابة المجتمعية واحتواها والتعبير عنها، عبر المعايير التي تبني عليها آلية عمل النظام السياسي ومن ثم مخرجاته. وهذا بدوره يستدعي ان تكون المؤسسات التي تبني عليها الدولة تتسم بالتطور الدينامي مواز للتطورات الحاصلة في المجتمع، وهذا بدوره يعجل من النظام السياسي أكثر قدرة على الاستجابة والتفاعل مع الاحتياجات القائمة في المجتمع، خلال مدة زمنية محددة مسبقاً ضمن إطار العمل المؤسساتي، تشكل احدى مصادر اكتساب النظام للشرعية السياسية، والتي تعكس، بطبيعة الحال، على أداء النظام السياسي. وهذا بدوره يثير بالضرورة التعرف على ماهية الأداء السياسي للنظام السياسي، بغية الكشف عن العلاقة ما بين القيم المؤسساتية وأداء النظام السياسي.

2. ماهية الأداء السياسي

يمكن تعريف الأداء السياسي على انه "مخرجات مؤسسات الدولة وسياساتها وخطاباتها الموجهة إلى الأفراد في سياقات اجتماعية وسياسية محددة للغاية، بمعنى ان يكون المجال العام هو مرحلة الأداء السياسي، والذي يربط بدوره ما بين القطاع العام والخاص"⁽²⁾. فهو الفعل والعمل الذي يقوم به النظام السياسي لتلبية احتياجات الأفراد وت تقديم الخدمات المختلفة التي يعدهم بها، والقدرة على اشباع تلك الاحتياجات في الحاضر والمستقبل، بغية تحقيق الرضا والقبول العام⁽³⁾.

وعلى هذا الأساس فإنَّ مدى فعالية الأداء السياسي ترتبط على نحوٍ مباشر بالشرعية؛ اذ ان هذه الأخيرة تتحقق عندما يتمكن جهاز الدولة من اصدار استجابات متسرعة لمطالب المجتمع، الأمر الذي يعني قدرة وقابلية مؤسسات الدولة على استيعاب أفراد المجتمع وقدرة وفاعلية مؤسساتها على تلبية احتياجاتهم. أي ان حجم المخرجات مواز أو مقارب لحجم المدخلات، وهنا فحسب يمكن للأفراد استشعار قوة وقدرة الدولة المادية والمعنوية وفعاليتها بوصفها الجهة الوحيدة القادرة على اشباع احتياجاتهم وتلبية

(1) Vivien Lowndes and Mark Roberts, **Why Institutions Matter: The New Institutionalism in Political Science**, (New York: Palgrave Macmillan, 2013), p. 4.

(2) Shirin M. Rai, "Political Performance: A Framework for Analysing Democratic Politics", **Political Studies**, Vol.63, No. 5, (London: Political Studies Association, 2014), p. 2.

(3) سعد شهاب احمد، **الديمقراطية التوافقية وانعكاسها على الأداء السياسي للنظام السياسي العراقي بعد عام 2005**، (برلين: المركز الديمقراطي العربي، 2022)، ص.36

مطالبهم، ومن ثم احساسهم بضرورة وجودها واستمرارها بوصفها مشتركاً عاماً يمتلك لوحده القدرة على تلبية مطالبهم واحتياجاتهم، لذا يصبح الدفاع عن هذا المشترك حقاً وواجباً مقدساً للدولة على الأفراد⁽¹⁾.

من جانب آخر، لا تقتصر فعالية الأداء السياسي وتحقيق الشرعية السياسية للنظام السياسي على تلبية الاحتياجات والمتطلبات المجتمعية فحسب، وإنما تمثل توقعات المواطنين عاملاً حاسماً في هذا الجانب. إذ من الممكن أن يكون الأداء السياسي للنظام أفضل من أي وقت مضى، غير أنَّ هذا الأداء قد يظل أقل بكثير من توقعات المواطنين، والتي تكون بطبيعة الحال معقدة. وعليه: فعندما لا يكون أداء النظام السياسي منسجماً مع متطلبات وتوقعات الأفراد فإنَّ ذلك سيفضي إلى تآكل الثقة في مؤسسات الدولة، وقد لا يكون التأثير فورياً، ولكن يمكن توقع حدوثه إذا تدهور أداء السياسات أو ظل منخفضاً على مدى الحكومات المتعاقبة. فعلى سبيل المثال، إذا كانت الحكومة مسؤولة عن توفير الخدمات العامة مثل: الرعاية الطبية أو التأمين ضد البطاله أو استحقاقات التقاعد، وتدهورت بعض أو كل هذه الخدمات أو فشلت في تلبية المطالب العامة، فقد ينتج عن ذلك استياء متزايد من الحكومة، وإذا لم يتم تحسين هذه الخدمات بمرور الوقت، فقد يبدأ الجمهور في التشكيك في الترتيبات المؤسسية الموجودة في النظام السياسي وقدرتها في التعامل مع هذه المشكلات⁽²⁾.

فالإداء السياسي، بناءً على ما تقدم، يمثل المجال العملي والتطبيقي للسياسة العامة، التي تضطلع بها مؤسسات الدولة كافة، وتنقلها من الحيز الخاص إلى الحيز العام، تترجم من خلاله منظومة القيم التي تحملها النخب السياسية الحاكمة، والتي على أساسها يتم تحديد مقدار الشرعية السياسية التي تحوز عليها. إذ كلما كان الأداء السياسي للنظام منسجماً مع متطلبات الأفراد واحتياجاتهم وتوقعاتهم كلما اكتسب الأداء السياسي الشرعية السياسية، والتي تعكس بمجملها على النظام السياسي ومؤسساته ككل، والتي يصبح معها عندئذٍ أكثر قدرة على الاستمرارية والعمل. والعكس صحيح، فكلما كان الأداء السياسي للنظام لا يلبي مطالب الأفراد ولا ينسجم مع توقعاتهم، كلما ضعفت شرعنته السياسية وأصبحت قدرته على الاستمرارية في العمل وإدارة شؤون الدولة محدودة وضعيفة، ومن ثم تتصف مخرجات النظام السياسي بالعشوانية والتلاؤف وينزح إلى استخدام العنف والاغرام للتعامل مع مطالب الأفراد.

(1) هشام حكمت عبد الستار وأخرون، علم الاجتماع السياسي، (بغداد: الدار الجامعية للطباعة والنشر، 2019)، ص.57.

(2) Arthur Miller and Ola Listhaug, " Political Performance and Institutional Trust", In: Pippa Norris (ED), **Critical Citizens: Global Support for Democratic Government**, (Oxford: Oxford University Press, 1999), p. 206.

3. العلاقة بين القيم المؤسساتية وأداء النظام السياسي

إن استجابة النظام السياسي للتغيرات التي تطرأ على المجتمع عبر مؤسساته المتعددة (الرسمية وغير الرسمية) سيولد قيماً متعددة عامودياً (على صعيد النخب السياسية) وافقياً (على صعيد الجماعات الاجتماعية المتباعدة)، أبرزها توكيده وضمانته للحرية بمختلف اشكالها، وسيادة القانون والمساواة بين الأفراد، وتوسيع المشاركة السياسية عبر الترشيح والتصويت في الانتخابات الحكومية، وقيام سلطة قضائية مستقلة تعمل على انفاذ القانون في المجتمع بصورة عادلة ومحايده، ووجود مجتمع مدني مستقل عن النظام السياسي والدولة⁽¹⁾. فالقيم التي توجدها المؤسساتية ستعمل على إعادة صياغة موضوع السلطة فكراً وممارسة، عبر إيجاد تميز بين ما هو شخصي وما هو وظيفي، وتحديد صلاحياتها ومدياتها وامتيازات الأشخاص الذين يشغلونها وفقاً للقواعد القانونية للدولة⁽²⁾. بعبارة أخرى، ان إعتماد المؤسساتية في آلية عمل النظام السياسي سيحقق قيماً متعددة تسهم بشكلٍ مركزي في تحقيق الاستقرار السياسي أبرزها:

أ. العدالة: أي ان جميع المواطنين يتمتعون بحقوقٍ متساوية بعض النظر عن انتماءاتهم الفرعية (الاجتماعية، الدينية، السياسية) وغيرها.

ب. المساواة: وتعني ان المواطنين يمتلكون فرصاً متساوية في الحياة السياسية والاقتصادية.

ج. المشاركة: أي ان الجميع سيرى نفسه جزءاً لا يتجزأ من الكل، فهو مصدر السلطة ومشارك فيها عبر اختياره من يحكمه في انتخابات حرةٍ ونزيهة.

د. الحكم الرشيد: الذي يشير الى قدرة المؤسسات السياسية على اتخاذ القرارات وتنفيذها بشكلٍ فعالٍ وكفؤ.

هـ. سيادة القانون: الذي يضع الجميع، حكامًا ومحكومين، تحت طائلة.

وـ. التعددية: أي وجود فضاء عامٍ يسمح بوجود افكارٍ وقيم متعددة ومتنوعة والتعبير عنها، دون ان يمس ذلك النظام العام والفضاء الخاص لكل فرد او جماعة أخرى.

زـ. الثقة: وتعني شعور الأفراد بالاحترام من قبل الآخرين، مما يسهم في قيام وخلق بيئة آمنةٍ ومستقرة.

(1) لاري دايموند، روح الديمقراطية: الكفاح من أجل بناء مجتمعاتٍ حرة، ترجمة: عبد النور الخرافي، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2014)، ص 42-43.

(2) Talcott Parsons, Max Weber: The Theory of Social and Economic Organization, translated by: A. M. Henderson and Talcott Parsons, (New York, Oxford University Press, 1947), p. 57-58.

"This is an open access article under the CC BY license CC BY 4.0 Deed | Attribution 4.0 International | Creative Common" : <https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

إن هذه القيم وغيرها التي تولدها المؤسساتية في النظام السياسي وفي فكر وممارسة النخب السياسية لا ينبغي تناولها على نحوٍ فضفاضٍ للغاية، إذ أنها تميز بطابعٍ عقليٍ يمثل نتاج تطوراتٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ تراكمية، تكون أكثر انسجاماً وتتواءماً مع رؤية النظام السياسي وفلسفته في "الحداثة والتمدن" التي تشمل على سائر فئات وطبقات المجتمع دونما تمييز⁽¹⁾. فالتحول الذي شهدته ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية لم يكن ممكناً دون احداث تغيير جذري تدريجي في بنية مؤسسات النظام السياسي ومنظومة القيم السائدة فيها آنذاك، فالمؤسسات الجديدة التي قامت فيها عملت على إنشاء قيم الديمقراطية تدريجياً في نفوس الأفراد، لتفسح المجال أمام إعادة بناء الثقة بالنظام الجديد والحكومة والنخب السياسية الحاكمة، والاستعداد للمشاركة السياسية وتحقيق التمثيل النيابي العادل، وتدالع للسلطة بصورةٍ سلمية، وإيجاد ديناميات فاعلة لتحقيق التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بعبارة أخرى، كانت القيم المؤسساتية تمثل المسار الأمثل لتحقيق شرعية النظام السياسي⁽²⁾.

إن المسار القيمي للمؤسسات لا يقف عند تحقيق الرضا والقبول الشعبيين لأداء النظام السياسي، بل يتعداه نحو تكوين وازع أخلاقي لدى الحاكم والمحكوم بالالتزام بحكم القانون، وهذا ما يجعل مؤسسات الضرائب، على سبيل المثال، في الديمقراطيات الراسخة مؤسسات فعالة يمثل لها معظم الأفراد في تلك المجتمعات، وهذه الاستجابة متأتية من اعتقادهم بأنَّ الضرائب، وإن كانت غير محبذة، لكنها تمثل طريقة مشروعة لتمويل المشروعات التي يحتاجها المجتمع⁽³⁾. فعندما يتحول الامتثال لحكم القانون وازعاً أخلاقياً لدى الجميع تزداد قيمة العدالة في المحاكم ويتحقق الامن الذاتي لدى الفرد، ويزداد نطاق الحرية وتنسج حجم المشاركة السياسية، وهو ما يعد مرتکزاً أساسياً لبلوغ رفاهية المجتمع وتحقيق استقراره ووسيلة فاعلة لتعزيز التنمية السياسية، وليس من قبيل المصادفة ان تتطور جميع العوامل المذكورة معاً وفي الاتجاه نفسه، إن لم يكن بالوتيرة نفسها، وتمثل في الوقت نفسه مؤشرات واضحة لشرعية السلطة العقلانية، المرتكزة على

(1) وليد سالم محمد، *مؤسسة السلطة وبناء الدولة-الامة: دراسة حالة العراق*، (عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2014)، ص 105.

(2) جابريل آلموند وجى بنجهام باويل، *السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر*، ترجمة: هشام عبد الله (عمان: الدار الاهلية للنشر والتوزيع، 1997)، ص 61-62.

(3) Patrick H. O'neil et al, *Cases and concepts in comparative politics an integrated approach*, (New York: Columbia University Press, 2014), p 17-18.

القاعدة البيروقراطية الفاعلة التي تقتضي على الفروقات والامتيازات الشخصية في السلطة وبشكلٍ نهائِي في جميع اركان النظام السياسي والمجتمع⁽¹⁾.

إن قانون الدولة المؤسس بطريقة عقلانية، سيعمل على عقلنة القيم السائدة أو عقلنة الغايات، أو كلاهما معاً، بمعنى ايجاد سلوكيات للأفراد تتماهى فيها القيم الخاصة مع القيم القانونية المؤسساتية، وتصبح عندئذٍ مجموع القواعد القانونية نسقٍ من الضوابط، قائمة على أساس ان تقوم العدالة بتطبيق هذا النسق، وهذا بدوره سيجعل طاعة ولاء الأفراد ليس مرتبطاً بالأشخاص وليس للأعراف والتقاليد بقدر ما هو خضوع للقوانين المجردة، وإنَّ هذه الحالة السائدة على المستوى الاقفي، تظهر ايضاً وبدأت المقدار على المستوى العامودي، إذ لا تستثنى النخب السياسية من ذلك الولاء والطاعة لقانون، فهم ملزمون ايضاً باحترام القانون بتوجيه نشاطه تبعاً لذلك⁽²⁾.

أن القيم المؤسساتية لا تتحسر عند الأداء السياسي للنظام فحسب، وإنما تظهر بصورةٍ واضحةٍ في الأداء الاقتصادي، لأن كفاءة الأداء السياسي القائم على القيم والعمل المؤسساتي يوازيه كفاءة الأداء الاقتصادي، فعبر مؤسسات النظام القانونية يتم تدعيم حقوق الملكية وتشجيع الاستثمار واستقطاب رؤوس الأموال، وتحول الشركات الناشئة إلى مؤسسات اقتصادية ضخمة، لذا فإن النمو الاقتصادي المطرد في الديمقراطيات الراسخة لا يعزى إلى العوامل الاقتصادية فحسب، وإنما يعزى أيضاً إلى طبيعة عمل مؤسسات الدولة والقيم التي اوجتها في المجتمع⁽³⁾. فعلى سبيل المثال نجد أن الاقتصاد الوطني للولايات المتحدة الأمريكية يعتمد بدرجة كبيرة على الشركات الناشئة، والتي تحول نتيجة فعالية مؤسسات النظام السياسي وقيمها الراسخة في المجتمع إلى شركات ضخمة بمرور الزمن، تحدث بمجموعها تأثيراً هائلاً على اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁴⁾.

إن عمل النظام السياسي في منظومة مؤسساتية يعني في أحد جوانبه وجود استثمار منهجي في المهارات والمعرفة التي يتم تطبيقها في الجانب الاقتصادي، وهي دالةٌ على التطور динامي لاقتصاد الدولة

(1) J. Roland Pennock, "Political Development, Political Systems, and Political Goods", In: Ikuo Kabashima and Lynn T. White (Eds.), **Political System and Change**, (New Jersey, Princeton University Press, 2018), p. 88.

(2) عبد المنعم الشقيري، العقلنة عند ماكس فيبر، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص 300-301.
(3) فرانسيس فوكوياما، بناء الدولة، المصدر السابق، ص 68-69.

(4) Carland, J.W. et al, "Differentiating Entrepreneurs from Small Business Owners: A Conceptualization", in: Álvaro Cuervo et al (Eds), **Entrepreneurship Concepts, Theory and Perspective**, (Berlin: Springer, 2007), P. 74.

القائم على الكفاءة التخصصية والتکيفية بأنواع القواعد والمسارات التي تشكل بمجموعها الهيكل الاقتصادي للدولة، فضلاً عن توفيره الحواجز المجتمعية لاكتساب المعرفة والتعلم، والتحث على الابتكار والاضطلاع بالمخاطر والنشاط الإبداعي وحل مشاكل المجتمع واختناقاته في فترات زمنية مختلفة⁽¹⁾. لذا فإنّ البلدان التي لديها قيم مؤسساتية قوية تميل إلى تحقيق نمو اقتصادي بوتيرة أسرع من البلدان التي لديها قيم مؤسساتية ضعيفة، وهذا يعود إلى أن القيم المؤسساتية القوية يمكن أن تساعد على خلق مناخ إيجابي للأعمال وتحفيز الاستثمار والابتكار. فالنشاط التجاري الخاص والمبادرة الفردية في مجال الأعمال، تمثل مفاتيح الابتكار وتكوين الثروة⁽²⁾.

من خلال ما تقدم يتضح بأن المؤسساتية والقيم المبنية عليها تمثل المقاييس الأكثر موضوعية لأداء النظام السياسي، لأنها تمنحه استجابة عالية للتغيرات المجتمعية وقدرة التعبير عنها، فهي المحددات المؤثرة في النظام والمجتمع والمتأثرة بهما في الوقت نفسه، وهي المعيار السلوكى والأخلاقي للحاكم والمحكوم على حد سواء. ومنها تكتسب مخرجات النظام السياسي الشرعية وتوجهه نحو التنمية المستدامة.

لذا فإنّ غياب أو ضعف العمل المؤسساتي في النظام السياسي سينعكس حتماً على قوة وقدرة الدولة على انفاذ قوانينها وسياساتها، ومن ثم ستتغلب العوامل الشخصية وتهيمن على مؤسسات الدولة، وبال مقابل ستصبح القيم التقليدية هي السائدة في المجتمع. وهذا من شأنه أن يخلق بيئة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية غير مستقرة، تفسح المجال لانتشار الجريمة المنظمة والفساد وضياع وهدر لمقدرات الدولة وبروز صراعاتٍ مسيسة متعددة المضارعين تخفي من ورائها مصالح ومكتسبات سياسية واقتصادية لجهات متعددة، وحينئذ لا يمكن الحديث عن جامعة او رابطة يتقى عليها المجتمع، ولا عن شرعية للنظام السياسي يمكن من خلالها بناء الثقة في مواقفه ومارساته، ولا عن تنمية سياسية واقتصادية يمكنها تغيير الواقع القائم والاستجابة الفاعلة لاحتياجاته. وهذه هي الإشكالية المتجلزة في النظام السياسي العراقي منذ تأسيس الدولة العراقية وحتى الوقت الراهن.

(1) Douglass C. North, *Institutions, Institutional Change and Economic Performance*, (New York: Cambridge University Press, 1990), P.80.

(2) ديفيد هارفي: الليبرالية الجديدة: موجز تاريخي، ترجمة: مجتبى الأمام، (الرياض: العبيكان، 2008)، ص 110.

ثانياً: أداء النظام السياسي العراقي في ظل غياب القيم المؤسساتية

يعد العراق واحداً من البلدان التي تمتلك موارداً طبيعية وبشرية هائلة، تمكّنه من احداث التنمية الاقتصادية بمعدلات عالية للغاية، عبر الاستثمار في البنية التحتية وتحسين نظام التعليم ودعم الابتكار والبحث والتطوير وتشجيع الاستثمار الأجنبي وتعزيز الحكومة الرشيدة وخلق فرص عمل في قطاعات متعددة مثل الزراعة والصناعة والسياحة وغيرها.

غير ان هذه التنمية وتحقيق التطور الاقتصادي ما يزال امراً بعيد المنال في ظل غياب أو ضعف القيم المؤسساتية في النظام السياسي العراقي وفي فكر وممارسة النخب السياسية، وهو ما كرس حالة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وأضعف من أداء ومخرجات النظام السياسي. لذا سنتعرض في هذا المطلب الى التحول الديمقراطي في النظام السياسي العراقي في ظل غياب القيم المؤسساتية، ومن ثم الى تقييم أداء مخرجات النظام السياسي العراقي.

1. التحول الديمقراطي في العراق في ظل غياب القيم المؤسساتية

منذ تأسيس الدولة العراقية عام 1921 وحتى مطلع العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، لم تكن مؤسسات الدولة العراقية قادرة على تلبية احتياجات المجتمع والقانون بشكلٍ فاعل، وهو ما أفقد المجتمع العراقي ثقته بمؤسسات الدولة طيلة هذه المدة، وهذا يعني ان النظام السياسي العراقي كان على طول المسار في مواجهة مباشرة مع (ازمة الشرعية، والتوزيع، والتغلغل، والمشاركة، والاندماج، والهوية)⁽¹⁾. اوجدت بيئة غير مستقرة نتيجة الصراعات والحروب المحلية والدولية، اسفرت عن استنزافٍ كبيرٍ لمواردها الاقتصادية وتدني مؤشرات التنمية القطاعية والبشرية، ومن ثم انكماش اقتصادها نتيجة ضعف وغياب التوظيفات المالية الكبرى⁽²⁾.

لقد اوجدت نهاية النظام الشمولي لحزب البعث المنحل واجهزته القمعية فرصةً مواتيةً لبناء نظام سياسي ديمقراطي تعددي في العراق، يسمح بقيام حكومة وطنية تأخذ على عاتقها استثمار الإيرادات النفطية السنوية المقدرة بحوالي (20) مليار دولار أمريكي لإعادة بناء البنية التحتية وتخصيص كميات نقدية في صندوق عراقي دائم، للأسر العراقية البالغ عددها ستة ملايين تقريباً، بعد سنوات من الإهمال وسوء معاملة النظام

(1) وليد سالم محمد، المصدر السابق، ص252.

(2) وسيم حرب وآخرون، إشكاليات الديمقراطية والتنمية في المنطقة العربية، (بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2010)، ص87-

السابق، إذ ان إعطاء المواطنين العراقيين فرصاً كافيةً في كيفية اتفاق عائدات النفط حتى توفير عائد لهم من شأنه ان يسهم في بناء الثقة في الحكومة واضفاء الشرعية على نقاط القوة في المؤسسات الديمقراطية حديثة النشأة⁽¹⁾. غير التحول الديمقراطي الذي شهدته النظم السياسي العراقي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003، لم يكن يهدف لبناء مؤسسات فاعلة، ولم يعي بإحداث تغيير في منظومة القيم التقليدية السائدة، وإنما كرس حالة الانقسام في المجتمع وتعزيز الهوة بين الجماعات الاجتماعية المتباعدة، تمثل في صورة العنف الطائفي والانقسام الهوياتي والصراع السياسي⁽²⁾. الى جانب مساعي الادارة الأمريكية في ان يعيش العراق حالة من الفوضى السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتكريس الانقسام الهوياتي وتلطيه في بنية النظام السياسي، بهدف ان يكون العراق بؤرة لجذب الجماعات الإرهابية المتطرفة وزمرة، عبر فتح الحدود وحل الجيش العراقي وانتشار الفساد والفقر والعوز والبطالة، وتكون نخبة وأحزاب سياسية تفتقر للخبرة لهدر ثروات الدولة، يجعل العراق نقطة انطلاق إعادة ترسيم المنطقة وتقسيمها على أساس ودعائم قومية وعنصرية ودينية طائفية⁽³⁾.

وفي ظل غياب العدالة والمساواة والحكم الرشيد وسيادة القانون، ونتيجةً لضعف الدولة وخضوعها لانقسامات الطائفية، ارتكبت جرائم الإبادة على الهوية وتعرضت التجمعات السكنية دور العبادة والمرقد المقدسة لهجمات إرهابية عنيفة، ذهب ضحيتها الآلاف من المدنيين وأصحاب الكفاءات⁽⁴⁾. وهو ما أثر سلباً على الوضع الاقتصادي والتنمية بشكلٍ كبير، وذلك لأسباب عديدة أبرزها:⁽⁵⁾

أ. الفشل في جذب الاستثمارات الداخلية والخارجية، وهروب رؤوس الأموال المحلية، وتفسّي ظاهرة الفساد المالي والإداري في ظل بيئة مضطربة وغير مستقرة، واتساع فجوة الفقر والبطالة لعدم توفر القدرة على توفير فرص للعمل.

ب. هدر الموارد بفعل تداخل المصالح الشخصية بالمشاريع التنموية العامة، والكلفة المادية الكبيرة للفساد على الخزينة العامة، كنتيجة لهدر الإيرادات العامة.

(1) Gary A. Stradiotto, "Democratizing Iraq: Regime Transition And Economic Development In Comparative Perspective", International Journal on World Peace, Vol. 21, No.2 (Manchester: Paragon House, June 2004).p. 32.

(2) شيركو كرمانج، *الهوية والأمة في العراق*، (بيروت: دار الساقى، 2015)، ص 171-173.

(3) ساجد أحمد الركابي، *معادلة القوة بين الإرهاب والدولة في العراق*، (بغداد: مركز البيان للدراسات والتخطيط، 2022)، ص 8.

(4) ناظم نواف إبراهيم، *العنف السياسي في العراق المعاصر: دراسة في تطور الظاهرة في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية والمحليّة*، (بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2015)، ص 299-300.

(5) حسين عليوي ناصر، *الفساد المالي والإداري في العراق*، (بيروت: مركز الرافدين للحوار، 2023)، ص 116.

- ج. الفشل في الحصول على المساعدات الخارجية، نتيجة عدم الاستقرار الأمني والسياسي.
- د. هجرة الكفاءات الاقتصادية نتيجة تردي الوضع الأمني وغياب النزاهة والمساواة وبروز المحسوبية والمحاباة في اشغال المناصب العامة.
- هـ. انهيار بعض مؤسسات الدولة كالمصانع والمرافق العامة وتفاقم الازمات الاقتصادية.
- وـ. الحد من تقديم الخدمات وارتفاع أعباء توفير كمية قليلة من الخدمات العامة، او التوزيع غير العادل لها، او تردي نوعيتها، او صعوبة الحصول عليها من دون رشوة او توسط.
- زـ. زعزعة الاستقرار الاقتصادي نتيجة انتشار الفساد في القطاع الخاص، بفعل زيادة كلفة العمل او المنتج التجاري بزيادة المدفوعات غير المشروعة، وازيداد النفقات الإدارية الناجمة عن التفاوض مع المسؤولين.

من ناحية أخرى، وفي ظل غياب القيم المؤسساتية، أدى عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي إلى تضخم كبير للغاية في اعداد الموظفين في الدوائر والمؤسسات الحكومية، وذلك بفعل تراجع أداء القطاع الخاص ومحدوديته في العراق، وعدم توافر البيئة الملائمة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، إذ ان عجز الدولة عن احتكار العنف بقي ضعيفاً للغاية في ظل انتشار السلاح واجتزاء السلطة بين جهات متعددة غير رسمية⁽¹⁾، فضلاً عن البنية التحتية المتدهلة، ومستوى التعليم المنخفض للقوى العاملة، والافتقار الى خبرات إدارية وأنظمة السوق والعمل المناسبة، فضلاً عن غيرها من العوامل والأسباب التي تتعلق بالنقلبات السياسية والاقتصادية والأمنية غير المستقرة التي يشهدها المجتمع العراقي بين فترة وأخرى⁽²⁾.

من ناحية أخرى، شهد المجتمع العراقي خلال المدة 2016-2021 تاماً مفرطاً للجريمة المنظمة، فضلاً عن ضعف الإيرادات الحكومية بفعل شبكات الفساد التي تستحوذ على قسم كبير منها مثل: الجمارك، ومشاريع البناء، وحقول النفط، والصرف الصحي، والمياه، والطرق السريعة، والممتلكات العامة والخاصة، وغيرها⁽³⁾. كما ان هذه الهشاشة التي تبدو عليها مؤسسات الدولة العراقية اوجدت من جانب آخر بنى

(1) Michael Knights, "Iran's Expanding Militia Army in Iraq: The New Special Groups", Combating Terrorism Center, Available on the World Wide Web (Internet) at the following link: <https://ctc.usma.edu/irans-expanding-militia-army-iraq-new-special-groups/>.

(2) Salim Araji and Ali Fakih, "Employment Profile and Challenges of the Private Sector in Iraq", (Beirut: Economic and Social Commission for Western Asia (ESCWA)/United Nations, 2019), p. 11-13.

(3) Max Boot, "Iran-Backed Militias in Iraq Poised to Expand Influence", Council Foreign Relations, Available on the World Wide Web (Internet) at the following link: <https://www.cfr.org/in-brief/iran-backed-militias-iraq-poised-expand-influence>.

مجتمعية ضعيفة الثقة فيما بينها، تعمد قيمها التقليدية (العشائرية والإثنية) في تصنيف الآخر، بما يضعف من إمكانية الاقبال على الاستثمار والاعمال التجارية ومن ثم الشروع بالتنمية الوطنية الشاملة. إذ ان غياب القيم المؤسساتية تضعف بدرجة كبيرة رأس المال الاجتماعي، على الرغم من توافر مؤسسات (حقوق الملكية، والعقود، والقانون التجاري)، لكنها عاجزة عن خفض تكلفة التعاملات التجارية في حال غياب الثقة بالآخر ورأس المال الاجتماعي⁽¹⁾. إذ ان مؤسسات الدولة العراقية ما زالت تعاني من عجز في إدارة شؤون المجتمع بمختلف مجالاته، وكثيراً ما تكون عاجزة عن فرض هيبيتها وعن توزيع وإدارة مواردها المتعددة بطريقة مستدامة ومنصفة⁽²⁾.

2. تقييم أداء النظام السياسي العراقي في ظل غياب القيم المؤسساتية

ان غياب القيم المؤسساتية في النظام السياسي العراقي اوجد اثاراً تراكمية انعكست على نحو مباشر على اداءه عامودياً وافقياً، أدت الى هدر كبير لفرص الاستثمار والتنمية. فعلى سبيل المثال، اشارت موازنة العام 2014 الى انه تم إنفاق (190) مليار دولار على ستة آلاف مشروع سابق غير مكتمل، او متوقف، او وهبي، كما بلغ حجم الهدر في المال العام منذ عام 2003 وحتى عام 2020 ما يقدر بحوالي (300) مليار دولار في القطاع الصناعي، وهناك (50) ألف مشروع صناعي في القطاع الخاص، (85%) منها خارجاً عن العمل، فضلاً عن وجود (250) مصنعاً تابعاً لوزارة الصناعة متوقفاً ايضاً⁽³⁾. كما اشار التقرير السنوي الصادر عن البنك الدولي لعام 2020، الى ان العراق احتل المرتبة 172 من بين 190 دولة في ممارسة الاعمال التجارية، واحتل المرتبة 174 في بدء الاعمال التجارية، ووفقاً لهذا التقرير يصنف العراق كواحدٍ من اسوء الأماكن في العالم للأعمال التجارية⁽⁴⁾. إن الترابط الوثيق بين القيم المؤسساتية وأداء النظام السياسي والتنمية تمثل نسقاً متكاملاً، وان غياب أحد مركباتها سوف ينعكس سلباً على الكل، وهو ما يمكن ملاحظته ورصده عند دراسة الحالة العراقية، سيما خلال المدة التي أعقبت احتلال العراق سنة 2003.

(1) فرانسيس فوكوياما، الثقة: الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي، ترجمة: معين الإمام ومجاب الإمام، (الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، 2015)، ص 563-564.

(2) Ibid, p.26.

(3) حسين عليوي ناصر، مصدر سبق ذكره، ص 116

(4) World Bank Group, "Economy Iraq: Doing Business 2020 Comparing Business Regulation in 190 Economies", (Washington DC: United nations, 2020),p.4

إذ شهد العراق خلال هذه المدة حالة من عدم اليقينية بصورة كبيرة في المجتمع العراقي تجاه الاستقرار السياسي والنمو والاستثمار الاقتصادي، بفعل انتشار وتفشي الفساد في معظم مفاصل مؤسسات الدولة العراقية. إذ بموجب تقرير منظمة الشفافية الدولية لعام 2020، بلغ مستوى الفساد في القطاع العام في العراق نسبة 79%， ليكون في المرتبة 160 من أصل 180 دولة في مؤشر النزاهة والشفافية⁽¹⁾. وبذلك يصبح الحديث عن وجود تتميّز مستدامة وقيام الاعمال التجارية في العراق في ظل هذه الظروف صعباً للغاية، إن لم يكن ضرباً من ضروب الخيال. هو ما تؤكده منظمة صندوق السلام في تقريرها السنوي عن الدول الآيلة للسقوط أو الهشة (Fragile States) لعام 2021. إذ احتل العراق المرتبة 20 من أصل 179 دولة في قائمة الدول الهشة، بواقع 96.20 درجة من أصل 120 درجة⁽²⁾.

وفي ذات المسار، جاء مؤشر التنافسية المستدامة العالمي (GSCI) لـ(180) دولة، لعام 2022، حيث وضع العراق في المرتبة (162) في مؤشر رأس المال الطبيعي، وفي المرتبة (125) في مؤشر رأس المال الفكري، وفي المرتبة (141) في رأس المال الاجتماعي، وفي المرتبة (140) في درجات الاستدامة الاقتصادية، وفي المرتبة (142) في مؤشر أداء الحكومة، وفي المرتبة (165) في درجات تنافسية رأس المال الطبيعي، وفي المرتبة (128) في درجات تنافسية رأس المال الفكري، وفي المرتبة (163) في تنافسية كفاءة الحكومة⁽³⁾. ويوضح هذا التقرير أن العراق يشغل في جميع هذا المؤشرات المراتب الأخيرة في التصنيف، متقدمةً عليه العديد من الدول الضعيفة والفقيرة، مثل سوريا واليمن وأفغانستان والسودان وغيرها.

من خلال ما سبق نجد ان النظام السياسي العراقي الجديد الذي تم تكريسه في دستور 2005 لم يكن نتاجاً لإرادة وطنية حرة ونزيه تأخذ على عاتقها انصاف الجماعات الثقافية التي يتكون منها عموم المجتمع العراقي، بقدر ما كان نتاجاً لإرادة خارجية تم من خلالها صياغة دستور جديد على عجلة، واقامة مؤسسات هشة وضعيفة عاجزة عن توليد وبعث قيم جديدة قادرة على مواجهة القيم التقليدية السائدة. لذا لم تكن خيارات المواطن العراقي بصورة عامة في الانتخابات متأتية من اعتبارات وطنية، بقدر ما كانت تمثل تفضيلات قائمة على اعتبارات اثنية وعشائرية ضيقة، أسهمت في ارباك وضعف الأداء السياسي عبر نخبٍ غير كفؤة ذات تجربة محدودة في الشأن السياسي.

(1) منظمة الشفافية الدولية، مؤشرات مدركات الفساد 2020، (برلين: منظمة الشفافية الدولية، 2020)، ص.3.

(2) Fund for Peace, Fragile States Index Annual Report 2021, (Washington D.C: The Fund for Peace, 2021), p.49.

(3) Sol Ability Sustainable Intelligence, The Sustainable Competitiveness Report, (Zurich: Sol Ability, 2022) p.p. 24 – 78.

من ناحية أخرى، وعلى الرغم من ضعف المشاركة السياسية الشعبية، بفعل ضبابية الهوية الوطنية وعدم وضوحاً لها لدى الكثير من أبناء الشعب العراقي، كان كثيراً ما يتم تجاهل آراء الناخبين وتفضيلاتهم، نتيجة متلازمة الصراع العامودي والافقى لدى النخب السياسية العراقية، وهو ما جعل البرلمان العراقي في انتخابات 2005 و2010 و2018 و2022 مغايراً للبرلمان الذي تم انتخابه من قبل الشعب، وبطبيعة الحال سينعكس ذلك على تشكيل الحكومة، التي غالباً ما يستغرق تشكيلها مدة طويلة، تاركةً البلاد في حالة من الارتباك والتعثر، فضلاً عن انقطاع الصلة ما بين اختيار الناخبين والنتيجة، وتعيق ازمة الثقة ما بين المجتمع والنظام السياسي، وهو ما يمثل نتيجةً حتمية لغياب القواعد والأسس المؤسساتية في عمل وأداء النظام السياسي.

الخاتمة والاستنتاج

لم يشهد التاريخ السياسي الحديث والمعاصر قيام نظام سياسي كفؤٍ بني على أسس طائفية أو عرقية، على حساب المؤسساتية والبيروقراطية الفاعلة. فالنظام السياسي المنقسم سيكون عاجزاً عن وضع حلول جذرية لتجاوز الأزمات بفعالية كبيرة، وإنما سيعتمد وضع حلول مؤقتة غالباً ما تكون ذات كلفٍ عالية في المستقبل، كما يحدث اليوم في لبنان والعديد من الدول الأفريقية.

إن عملية إعادة بناء مؤسسات الدولة العراقية عملية تراكمية شاقة وتحتاج مدة طويلة من الزمن، لكنها في الوقت نفسه ليست بالعملية المستحيلة نظراً لما تمتلكه الدولة العراقية والمجتمع من مقدرات وموارد وإمكانات. لذا فإن الاستنتاجات التي توصل إليها البحث يمكن إجمالها على النحو الآتي:

1. تتطلب إعادة بناء مؤسسات الدولة العراقية قبل كل شيء بناء جسور الثقة ما بين المواطن والنظام السياسي من ناحية، وما بين الجماعات الاجتماعية المتباينة في المجتمع، وذلك من خلال إعادة بناء مؤسسات الدولة على أسس وطنية مدنية تحقق التمايز الوظيفي والهيكلاني، وتسهم في تكوين وبناء الهوية الوطنية التي يرى فيها الآخر أنه جزء لا يتجزأ من المجموع، ويرى فيها المجموع عدم تحقق كيانه واجتماعه إلا بوجود الآخر.

2. إن قيام النظام السياسي العراقي على بنية مؤسسية تعتمد صيغ واضحة ومحددة للعمل من شأنه أن يزيد من قدرة النظام السياسي على استيعاب التغيرات الحاصلة في المجتمع، والاستجابة للاحتجاجات والمتطلبات المجتمعية، ويتمكن من تحقيق فهم أفضل لتوقعات الأفراد لأداء النظام السياسي. وهذا يعني من جانب آخر تحقيق وقيام الشرعية السياسية للنظام السياسي وأدائه.

3. ان فعالية الأداء المؤسسي للنظام السياسي العراقي تزداد بشكل مطرد كلما كان الأداء السياسي منطلقاً من قاعدة بيانات دقيقة، وتتوفر رؤية وقراءة واضحة للنظام السياسي لاحتياجات ومتطلبات وتوقعات الأفراد. وهذا ما يجعل من مخرجات النظام السياسي واداءه محكمة.

4. إن إضفاء الطابع المؤسسي على النظام السياسي العراقي من شأنه ان يسهم في احدث تغيير لمنظومة القيم السائدة في المجتمع العراقي بصورة تدريجية، وإحلال قيم وطنية مدنية سامية على ما سواها من القيم الاخرى، ومن ثم احترام إرادة الناخب العراقي، وانفاذ القانون في جميع أقاليم الدولة العراقية وتكامل سيادتها، وهذه التحولات ستكون بمثابة الواقع والطاقة التي تعمل بها تلك المؤسسات بفاعلية، ويكتسب من خلالها النظام السياسي واداءه، بمرور الزمن، بالثبات والاستقرار وتحقيق الدينامية في عملية التنمية والتغلب على ازماتها شيئاً فشيئاً،

5. إن إضفاء الطابع المؤسساتي على عمل النظام السياسي للمضي في تحقيق التنمية هي عملية تشاركية تتضادر فيها جهود الجميع بصورة مستمرة غير قابلة للتوقف، وإن الضمانة الفاعلة لهذه الاستمرارية هي القيم المؤسساتية التي ستعزز من المشاركة والمساهمة السياسية في المجتمع، وتعيد صياغة موضوعات السلطة وتقيدها بصلاحياتها التي يحددها القانون، وإن هذا التغيير والتطور الذي سيطراً على النظام والمجتمع سيتبعه تغيرات أخرى وبخط موازٍ في مجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإداري.

References:

1. Andrey A. Meleshevich, **Party Systems in Post-Soviet Countries: A Comparative Study of Political Institutionalization in the Baltic States, Russia, and Ukraine**, (New York: Palgrave Macmillan, 2007).
2. Arthur Miller and Ola Listhaug, "Political Performance and Institutional Trust", In: Pippa Norris (ED), **Critical Citizens: Global Support for Democratic Government**, (Oxford: Oxford University Press, 1999).
3. Carland, J.W. et al, "Differentiating Entrepreneurs from Small Business Owners: A Conceptualization", in: Álvaro Cuervo et al (Eds), **Entrepreneurship Concepts, Theory and Perspective**, (Berlin: Springer, 2007).
4. Douglass C. North, **Institutions, Institutional Change and Economic Performance**, (New York: Cambridge University Press, 1990).
5. J. Roland Pennock, "Political Development, Political Systems, and Political Goods", In: Ikuo Kabashima and Lynn T. White (Eds.), **Political System and Change**, (New Jersey, Princeton University Press, 2018).
6. Patrick H. O'Neil et al, **Cases and concepts in comparative politics an integrated approach**, (New York: Columbia University Press, 2014).
7. Talcott Parsons, **Max Weber: The Theory of Social and Economic Organization**, translated by: A. M. Henderson and Talcott Parsons, (New York, Oxford University Press, 1947).
8. Vivien Lowndes and Mark Roberts, **Why Institutions Matter: The New Institutionalism in Political Science**, (New York: Palgrave Macmillan, 2013).

Second: Periodicals

1. Gary A. Stradiotto, "Democratizing Iraq: Regime Transition And Economic Development In Comparative Perspective", International Journal on World Peace, Vol. 21, No.2 (Manchester: Paragon House, June 2004)
2. Shirin M. Rai, "Political Performance: A Framework for Analysing Democratic Politics", **Political Studies**, Vol.63, No. 5, (London: Political Studies Association, 2014).

3. Walter W. Powell and Patricia Bromley, "New Institutionalism in the Analysis of Complex Organizations", Vol 16, (Oxford: International Encyclopedia of the Social and Behavioral Sciences, 2015).

Third: Reports:

1. Fund for Peace, Fragile States Index Annual Report 2021, (Washington D.C: The Fund for Peace, 2021).
2. Salim Araji and Ali Fakih, "Employment Profile and Challenges of the Private Sector in Iraq", (Beirut: Economic and Social Commission for Western Asia (ESCWA)/United Nations, 2019).
3. Sol Ability Sustainable Intelligence, The Sustainable Competitiveness Report, (Zurich: Sol Ability, 2022).
4. World Bank Group, "Economy Iraq: Doing Business 2020 Comparing Business Regulation in 190 Economies", (Washington DC: United nations, 2020).